

الفصل الثاني عشر

الالفية والمساواة (٢)

طبال نيكلاس هوزن

في ١٤٣٤ هزم الجيش الطابوري (ص ٢٢٣) وأبدي تقريبا في معركة ليبان على يد جيش ليس من الكاثوليك الاجانب بل من الاوتراكيست البوهيميين ، ومن حينه وما بعد حدث تدهور في قوة الجناح الطابوري في حركة الهوسية ، بعد ان تم الاستيلاء على طابور نفسها من قبل الاوتراكيست ، في ١٤٥٢ وبقيت تقاليد الطابوريين متماسكة فقط في الزمرة المعروفة باسم الاخوة المورافية ، ولكن فقط في صورة دينية صرفة ، مسالمة وغير ثورية وغير سياسية ، ومع ذلك لا بد ان تيارا سريرا من الالفية القتالية قد استمر في بوهيميا ، وفي ١٤٥٠ او اوائل ١٤٦٠ بدأ اخوان من عائلة غنية نبيلة هما جانكو وليفين ، من ورز برغ في نشر نبوءات أخروية أسهمت فيها اليوحنية واليواكمية

وفي صلب هذا المذهب وقف مسيح كان يشار إليه باسم المسيح المخلص وكان يتوقع ان يدشن العصر الثالث والاخير ، وقد أكد الاخوان ان هذا الرجل ، وليس عيسى ، هو المسيح الذي تنبأ به العهد القديم ، ابن الانسان الحقيقي الذي قدر له ان يظهر في بهاء في نهاية التاريخ ، وكان موهوبا ببصيرة لم يوهب مثلها لرجل آخر ، لقد شاهد الثالوث والجوهر الالهي ، وجعل فهمه للمعنى الخفي للكتاب المقدس المفسرين السالفين يبدون بالمقارنة معه عميا او مخمورين ، وكانت مهمته ان ينقذ لا الجنس البشري ببساطة بل الرب نفسه ، لان الرب كان يعاني بسبب خطايا البشر منذ بدأ

العالم ، وهو الان يناشد المسيح المخلص أن يحرره من كربته ، ولكن هذه المهمة لا يمكن بالطبع أن تنفذ دون كثير من سفك الدماء ، وهكذا ان المسيح الجديد سوف يبدأ بذبح المسيح الدجال - البابا - ومن ثم سيتابع بتدمير الكليروس ككهننة للمسيح الدجال ، باستثناء مراتب الرهبان المتسولين فقط .

وفي النهاية سيتحول ضد كل الذين قاوموه بأي طريقة ، لكن في سبيل المصلحة - كما جاء في نبوءة سفر الرؤيا - إن مجرد ١٤٠٠٠ سينجون ، وهؤلاء البقية الناجية سيتوحدون في عقيدة واحدة : كنيسة روحية (ص ٢٢٤) ديانة ظاهرة ، وعليهم جميعا يحكم المسيح المخلص الذي سيكون في الوقت نفسه امبراطورا رومانيا وربا .

والمذبحة نفسها كان مقدرا لها أن تنفذ بمساعدة عصايات من المرتزقة - فكرة غريبة ولكنها ليست بلا دلالة - ففي هذا الوقت كانت الاراضي المتاخمة لبوهيميا قد خربت بواسطة المرتزقة البوهيميين المسرحين ، الذين احتفظوا بما يكفي من طرق الطابوريين حيث كانوا يدعون أنفسهم « اخوة » ومعسكرهم المحصن « طابور » ، ومع ان هؤلاء الناس لم يكونوا متعصبين متحمسين بل مجرد لصوص وقطاع طرق اكثر منهم ارواح متحمسة في بوهيميا - مثل اخوه ورزبرغ ، ويمكن بسهولة أن يبدوا كخلفاء حقيقيين للالفيين الثوريين لعام ١٤٢٠ ، وبالتالي كان مقدرا للمذهب الجديد الذي سيظهر من المذبحة لان يميل ليكون له سمات مساواتية - باعلانه إن : الكهنوت الذين نجوا - الرهبان المتسولون - لن يملكوا أي ممتلكات بالمرّة ، وعلى النبلاء ان يتخلوا عن قصورهم وأن يعيشوا في المدن مثل المواطنين العاديين ، وقد صدم المعاصرون في الواقع بشكل خاص بحقيقة انه بانتشاره بالعامية ، شجع المذهب السكان « على أن يهبوا في ثورة مثيرة للفتنة ضد الكبار الروحيين منهم والمدنيين » ولم يترددوا في مقارنته

بمذهب البيكارتي ، « الذي اعتاد أن يوجد في بوهيميا وكان يريد إقامة جنة أرضية هناك » .

ويبدو أن وجود هذا المذهب لم يكن واحداً من اخوي ورزبرغ نفسيهما بل من الفرنسيين ، انشق عن جماعته واعتقد أنه هو نفسه كان المسيح المخلص ، وقد هيمنت هذه الشخصية على الاخوين تماماً ، لذلك كانوا راضيين باعتبار نفسيهما مبشرين ورسولين له ، بل حتى أن جنكو رأى نفسه يوحنا معمدانياً جديداً ، وتبنى اسم يوحنا الشرقي ، ومن قيادتهم في ايغر (اشب) في أقصى الطرف الغربي من بوهيميا ، نشرا نبوءات معلمهما طويلاً وعرضاً ، سواء بين العامة أو بين الفرنسيين نوي الميول « الروحية » واليوكومية .

وادعيا بان لهما مؤيدين عديدين في المانيا ، وانهم لو كانوا جميعاً متحدين فان بإمكانهما أن يتعاملا مع أي أمير ، وكان هذا بالتأكيد مبالغة كبيرة ، ومع ذلك من المهم ملاحظة أنه عندما دخل المذهب إلى ايرفورت وكانت في ذلك الوقت مدينة كبيرة ذات متناقضات شديدة من الغنى والفقر - شعر الاستاذ الذي كان الزعيم الفكري للجامعة أنه مدعو للكتابة وتلاوة بيان ضده .

وكانت السنة التي كرسست من قبل لمجيء المسيح المخلص هي ١٤٦٧ ، ولكن ما كان يمكن أن يحدث في حينه لم يكن معروفاً ، لأنه في السنة السالفة قررت السلطات الكليروسية بقيادة المعتمد البابوي بأن الوقت قد حان لكبح الحركة ، ويبدو أن جانكو أوف ورزبرغ قد هرب - مصيره غير معروف - (ص ٢٢٥) ولكن ليقين وقد تفادى الخازوق بارتداده عن أخطائه ، احتجز في سجن الاسقف في رجنسبرغ ، حيث توفي بعد عامين ، وفي هذه الأثناء كانت مدينة ايغر منهمكة في الدفاع عن نفسها بواسطة رسائل إلى المدن الشقيقة في الامبراطورية وحتى إلى البابا ، ضد الاتهام بكونها مرتعا للهرطقة

وإذا كان في بوهيميا نفسها مجال كان يضيق باستمرار لمثل هذه الحركات ، فإن الظروف في المانيا وحدها كانت مواتية لاستقبال المؤتمرات الطابورية ، حيث المعائب في بنية الدولة التي كانت لاجيال تسبب الفوضى والتشويش بين عامة الناس كانت ماتزال بسادية واقتوى مما كانت ابدا ، واستمرت هيبة وسلطة المنصب الامبراطوري بالترونج ، واستمرت تحلل المانيا الى خليط من الامارات ، وخلال النصف الثاني من القرن الخامس عشر غاصت هيبة الامبراطور بشكل خاص الى غور عميق ، وكان فريدريك الثالث في البداية ، بسبب اسمه محط انظار للتوقعات الالفية الاكثر جموحا ، ولكن في فترة الحكم التي استمرت من ١٤٥٢ إلى ١٤٩٣ ، اثبت أنه ملك فريد في عدم فعاليته ولم يحل دون خلعه سوى عدم وجود اي منافس مناسب ، وفيما بعد اصبح وجوده منسيا تقريبا من قبل رعاياه ، وأوجد فراغ مركز الدولة قلقا مزمنا واسعا ، قلقا وجد تعبيرا في التراث الشعبي حول « فريدريك المستقبل » والذي امكنه ايضا أن يجد منفذا له في موجات مفاجئة من الاثارة الاخروية ، التي كان بين اكثر ظواهرها شيوعا ، حشود الحج ، وبقايا الحملات الصليبية الشعبية ومواكب اللطم من الازمنة القديمة ، والتي لم تكن اقل احتمالا منها للهرب من السيطرة الكهنوتية . وقدمت الاراضي الالمانية المتاخمة لبوهيميا حقلا مواتيا بشكل خاص للدعوة الطابورية ، وبقيت تقاليد الهرطقة التي عمرت قرونا في المدن البافارية خلال القرن الخامس عشر ، وفي منتصف القرن وجد اسقف إيخستات أنه مازالت هناك ضرورة للتهديد بالحرمان للطاميين ، كانوا يضربون انفسهم امام الكنائس ولبيغرد من جماعات «الفقر الطوعي » ، كانوا يهيمون في الارض للتسول ، والذين اعتقدوا في انفسهم أنهم بلغوا الكمال ، وظل هذا الحظر يتكرر من وقت لآخر حتى نهاية القرن ، وفي ورزبرغ ايضا كرر مجمع في منتصف القرن الحظر القديم للوعاظ الهانمين من البيغرد . وفي مثل هذا المحيط أمكن لتقاليد الطابوريين أن تجعل نفسها ملموسة بعد أن نوت في موطنها ، وازدهرت بشكل أفضل لان الكهنة لم يكونوا في أي مكان أكثر اعتيادا على الترف والبخل منهم في

بافاريا ، وتشهد شكواى اسقفية لاحصر لها بفسق المراتب الدنيا من الاكليروس ، الذين كرسوا انفسهم للشراب واللهو ، ولم يكونوا يترددون في اخذ عشيقاتهم معهم حتى الى المجالس الكهنوتية . (ص ٢٢٦) والاساقفة انفسهم كثيرا ماكانوا يفعلون القليل مما يكفي لكسب ولاء اتباعهم .

وكانت الحـالة متفجـرة بشـكل خـاص في اراضي الامارة - الاسقفية لورزبرغ ، ولأجيال كان الاساقفة في حالة خلاف مع اهالي ورزبرغ وحقيقة انه في مستهل القرن الخامس عشر هزم الاهالي بشكل حاسم ، لم تضع حدا للتوتر ، علاوة على ان الاساقفة خلال النصف الاول من القرن كانوا مبذرين بشـكل مسعور ، وكانوا يستطيعون دفع ديونهم بفرض ضرائب اكثر ثقلا . ومع ١٤٧٤ اصبحت الضرائب ثقيلة لدرجة ان واحدا من موظفي الاسقف قال وهو يقارن الفلاحين المحليين بفريق من الخيول يجرون عربة ثقيلة : إنه اذا اضيفت بيضة واحدة الى العربة ، فان الخيول لن تعود قادرة على جرها ، وبالنسبة للعامه الذين تعلموا من اجيال من وعاظ الهرطقة ان الاكليروس يجب ان تعيش في فقر تام ، كان هذا العبء الثقيل من الضرائب فقراً محتما ان يبدو مروعا بشـكل خاص ، ولم يغير من ذلك حقيقة ان الاسقف في ذلك الوقت وهو رودولف اوف شرنبرغ كان قادرا ومسؤولا ، لكن في المدينة وفي اسقفية ورزبرغ لم يعد ممكنا في ١٤٧٠ للأسقف ايا كانت مؤهلاته الشخصية ان يعتبر من قبل العامة ، ولاسيما الفقراء ، أي شيء سوى مستغل .

وفي ١٤٧٦ ، بدأت في نيكلا سهوزن ، وهي مدينة صغيرة في وادي توبر غير بعيدة عن ورزبرغ حركة يمكن تقريبا تسميتها حملة صليبية شعبية ، فكثير مما حدث خلال الحملات السالفة في فرنسا والبلاد المنخفضة وادي الراين ، كان يتكرر الان في جنوب المانيا ، ولكن في هذه المرة لم تكن المملكة المسيحية قدسنا سماوية بل دولة الطبيعة كما صورها جون بول والطابوريين المتطرفين ، وكان مسيح

الحركة شابا يدعى هانز بوم وهو اسم يوحى إما بأنه من اصل بوهيمي او انه كان في الفكر الشعبي مرتبطا بتعاليم الهوسية ، وكان راعيا ، وفي وقت فراغه ، كان مغنيا شعبيا ، يطبل ويزمر في الفنادق ، وفي ساحة السوق ، ومن هنا جاء اللقب الذي مازال يعرف به ، لقب طبال (او زمار) نيكلا سهوزن ، وحدث ذات يوم أن سمع هذا الصبي يتحدث عن الفرندس سكانى الايطالى جيوفانى دي كابسترانو الذي كان منذ جيل سالف يجول في المانيا ويعظ بالتوبة ، ويحث سمعته على أن يخلعوا عنهم ملايسهم الناعمة وان يحرقوا النرد وأوراق اللعب ، وبعد ذلك بوقت قصير ، وفي منتصف الصوم الكبير ، احرق الراعي طبله امام كنيسة اسقفية نيكلا سهوزن وبدأ يعظ الناس .

وتماما مثل ذلك الصبي الراعي ، الذي قيل إنه شن حملة الرعاة الصليبية في ١٣٢٠ ، اعلن بوم أن العذراء مريم قد ظهرت له (ص ٢٢٧) وهي محاطة باشعاع سماوي ، واعطته رسالة ذات اهمية استثنائية ، وبدلا من دعوة الناس للرقص ، كان بوم ينورهم بكلمة الرب الطاهرة .

وكان عليه أن يشرح كيف فضلت العناية الالهية نيكلا سهوزن على كل الاماكن ، وكان في كنيسة اسقفية نيكلا سهوزن يقف تمثال للعذراء كانت تنسب اليه قوى معجزة ، وكان لزمان طويل يجتنب الحجاج ، والان - اعلنت العذراء - ان هذه البقعة قد اصيحت خلاص العالم ، ونصت الرسالة في تعابير كانت مذكرة بقوة بالرسالة السماوية التي كان اللطامون يستعملونها في ١٢٦٠ ، ومرة اخرى في ١٣٤٨ ، وقد قصد الرب معاقبة الجنس البشري بصورة موجعة ، وتوسطت العذراء ووافق الرب على امساك العقاب ، ولكن يجب ان تذهب جموع الناس الان للحج الى عذراء نيكلا سهوزن ، والافان العقاب سيحل اخيرا بالعالم ، ومن نيكلا سهوزن ، ومن هناك فقط ، ستمنح العذراء بركاتها لكل الاراضي ، وفي وادي توبر وحده ، وليس في روما او اي مكان اخر ، توجد النعمة الالهية ، وكل من

يحج يتحرر من كل خطاياها ، وكل من يموت هناك يذهب مباشرة الى الجنة .

لقد كان الراعي السالف رجلا بسيطا ، ولكنه اصبح الان فجأة قادرا على التمكن من البلاغة المدهشة ، وفي ايام الاحاد والاعياد كانت الحشود تتدفق لسماعه ، وسرعان ما اصبح يتبع منهاجا اتبع من قبل عدد كبير من المتنبئين ، من تباذشليم وما بعده ، وكان في البداية يعظ بمجرد التوبة : وكان على النساء ان يخلعن عنهن عقودهن الذهبية والاورشحة الزاهية ، وعلى الرجال ان يرتدوا حلالا اقل تلويها ، واحذية يكون تدبها اقل ، ولكن قبل مضي وقت طويل كان المتنبئ يدعي لنفسه قوى معجزة مثيرة للدهشة بالقدر نفسه الذي كان قد نسبها فيها الى العذراء في البداية ، من ذلك اذا كان الله لم يرسل الصقيع ليقفل كل القمح والكروم فان ذلك كما ادعى عائد الى صلواته وحده ، وعلاوة على ذلك اقسم بانها كان بإمكانه ان يقود اي روح الى خارج الجحيم بيده هو .

و مع ان بوم قد بدأ يعظ بموافقة كاهن الأبرشية ، فانه كان من المتوقع أنه سينتهي بأن ينقلب على الأكليروس ، و بكل العنف القوي الاتهامات التقليدية بالترف و البخل ، و قال : إنه لايسر جعل يهودي مسيحيا من فعل ذلك ، مع كاهن ، و لقد كان الرب لزمان طويل غاضبا من سلوك الأكليروس ، ولكنه لم يعد يتحمل ذلك ، و ان يوم الحساب قريب حيث يكون الأكليروس سعداء إن هم غطوا رؤوسهم الحليقة ليهربوا من ملاحقيهم ، (يمكن للمرء أن يتعرف على النبوءة اليواكمية الزائفة التي وجدها جون و ينتثر

شعبية جدا في ١٣٤٨) لأن قتل كاهن سوف يرى عندئذ على أنه عمل بالغ التقدير ، لقد سحب الرب قوته من الأكليروس ، ولن يبقى عن قريب كهنة أو رهبان على الأرض (ص ٢٢٨) وحتى الآن هكذا أضاف مهددا ، ستكون فضيحة سيئة لهم ان يحرقوه كمهرطق فان عقابا رهيبا ينتظرهم إن فعلوا ، لأنهم هم أنفسهم المهرطقون الحقيقيون .

و لم يتوقف بوم عن النقد العام والتهديدات الغامضة ، لقد ناشد سامعيه رفض دفع الضرائب والعشور كليا ، و صرح : من الآن فصاعدا ، سيضطر الكهنة الى التخلي عن منافعهم الكثيرة ، و أن يعيشوا من وجبة لوجبة على ما يختار الناس اعطاءه لهم ، و كانت جانبية هذه التعاليم المألوفة تماما بالقوة نفسها التي كانت عليها دائما ، و علق ترثيميس راعي الدير الشهير في سبونهم : ماذا يحب الرجل من العامة أكثر من أن يرى الأكليروس والكهنة وهم يسلبون كل مزاياهم و حقوقهم وعشورهم و دخولهم ؟ لأن الناس العاديين جانعون بالطبيعة للأشياء غير المألوفة و متلهفون دائما لاسقاط نير سيدهم ، و رأى لاهوتي المانيا الأول رئيس اساقفة مينز في تنبؤ نيكلا سهوزن قوة ربما تلحق ضررا لا يمكن إصلاحه بالكنيسة -

و في النهاية ظهر بوم كثوري اجتماعي ، يعلن قرب الألفية المساواتية القائمة على القانون الطبيعي ، و في المملكة القادمة سيتم استعمال الخشب و الماء و المراعي و حقوق الصيد البري و البحري و التمتع بها بحرية من قبل الجميع ، كما كان في الأزمنة القديمة ، و الجزية من كل نوع ستبطل الى الأبد ، و لن يكون الايجار أو الخدمات دينا لأي سيد ، و لا ضرائب و لا قروض لأي أمير ، و فروق المراتب و المنزلة ستزول من الوجود ، و لن يكون لأحد سلطة على أي فرد آخر ، و سيعيش الجميع معا كاخوة ، و سيتمتع كل واحد بالحريات نفسها و يقوم بالقدر نفسه من العمل كأي واحد آخر ، «الأمراء و الأكليروس و المدنيون على السواء ، و الكونتات و الفرسان يمكنهم فقط أن يملكوا بقدر ما يملك الناس العاديون و عندها يكون لكل امرئ ما يكفي ، و سوف يأتي الوقت الذي يعمل فيه الأمراء و اللوردات من أجل خبزهم . اليومي» و مد بوم هجومه الى ما وراء السادة المحليين و الأمراء الى قمة المجتمع ، فقال : «إن الامبراطور و غد ، و البابا عديم النفع ، و الامبراطور هو الذي يعطي الأمراء و الكونتات و الفرسان الحق في فرض الضرائب على عامة الناس و اسفاه اي شياطين مساكين انتم!»

ولا شك ان تعاليم بوم راقت بطرق مختلفة لقطاعات من السكان وربما راقت المطالبة بخلع كل الحكام الكبار والصغار بشكل خاص لفقراء المدن ، ونعرف ان اهل المعرفة جاء وافي الحقيقة الى نيكلاسهوزن ليس فقط من ورز برغ بل من انحاء جنوب ووسط المانيا ، ومن جانب آخر من المطالبة بان يكون الخشب والماء والمرعى والصيد البري والبحري حرا لكل الناس كان بوم ينطق بطموح عام جدا للفلاحين ، واعتقد الفلاحون الالمان ان (٢٢٩) تلك الحقوق كانت في الواقع لهم في الازمنة القديمة حتى اغتصبها النبلاء وكان هذا احد الاخطاء التي كانوا دائما يريدون من امبراطور المستقبل فردريك ان يبطلها ولكن فوق كل شيء لقد كان مقام الواعظ نفسه كشمخس معجزة ارسله الله هو الذي اجتنب عشرات الالوف من الناس الى وادي توبر ، وقد رأى فيه عامة الناس من فلاحين وحرفيين على السواء حاميا وخارقا للطبيعة وزعيما مثل ما كان يجب ان يكون عليه الامبراطور فردريك مخلصا يمكن ان يمنحهم بشكل فردي كل النعمة الالهية ويقودهم جميعا الى فردوس ارضي .

وانتقلت اخبار الاحداث العجيبة في نيكلاسهوزن بسرعة من قرية الى قرية في الجوار وحملت بعيدا الى خارج الوطن ايضا بوساطة رسل خرجوا من كل اتجاه وسرعان ماتدفقت الحشود من العامة من كافة الناس ومن كل الاعمار ومن كلا الجنسين وبينهم عائلات كاملة نحو نيكلاسهوزن ، ولم تكن البلاد المحيطة فقط بل كل اجزاء جنوب ووسط المانيا في هياج من الالب الى ارض الراين والى ثورنجايا، وهجر الحرفيون ورشهم والفلاحون حقولهم وهجر الرعيان والراعيات قطعانهم واسرعوا، وهم كثيرا ما كانوا لايزالون في الثياب نفسها ويحملون معاولهم ومطارقهم ومناجلهم — ليسمعوا وليعبدوا ذلك الذي أصبح الآن يعرف بالشباب المقدس وكان هؤلاء الناس يديون بعضهم البعض بكلمة اخ او اخت فقط ، وكان لهذه التحيات دلالة « صريحة جمع واستدعاء » وبين الجموع الغفيرة من الناس البسطاء المهتاجون بشكل رهيب كانت تنبثق شائعات خيالية، وما

اعتقده العوام الفقراء عن القدس اعتقده هؤلاء الناس عن نيكلاسهورن، لقد اعتقدوا ان جنتهم قد هبطت بشكل واقعي على الارض وكانت ثروات بلا نهاية ملقاة على الارض جاهزة لجمعها من قبل الذين سيقتسمونها بين انفسهم في حب اخوي ، وفي خلال ذلك كانت الحشود مثل الرعاة واللطامين قبلهم تتقدم في صفوف طويلة يحملون الاعلام ويذشدون الاغاني من تأليفهم ومن هذه الاغاني اخذت واحدة شهرة خاصة :

الى الرب في السما

اصرخي اليسون

ان الكهنة لايمكن ذبحهم

اصرخي اليسون

وعند وصول الحجاج الى نيكلاسهورن كانوا يضعون القرابين امام تمثال العذراء، ولكن ولاء اشد كان يعطي للمتنبىء نفسه فامامه كان الحجاج يخرون على ركبهم وهم يصيحون : « يارجل الرب المرسل من السماء ارحمنا وكانوا يحتشدون حوله وعلى مقربة شديدة منه نهارا وليلا .»

حتى انه كان نادرا ما يتمكن من الاكل او النوم وكثيرا ماكان في خطر السحق (ص ٢٣٠) حتى الموت، وكانت قطع من ثيابه يتشبهت بها وتتمزق قطعاً صغيرة، وكل من يمكنه احراز قطعة كان يعتز بها كآثر لايمكن تقديره كما لو كانت قشة من مزود بيت لحم ، وقبل مضي وقت طويل روي انه كان بوضع اليد يشفى الناس ممن كانوا عميا او بكما منذ الولادة ، وانه اقام الموتى ، وانه جعل نبعاً يتدفق من صخرة .

وكانت جموع الحجاج العائدين تستبدل باستمرار بجموع جديدة ويتحدث المؤرخون عن ثلاثين او اربعين او حتى سبعين الفا تجمعوا في يوم واحد معا في نيكلاسهورن ، ومع ان هذه الارقام منافية للعقل لابد ان الحشود بالتأكيد كانت كبيرة جدا. وكان مخيم واسع يمتد حول القرية الصغيرة. وكانت الخيام تقام حيث الحرفيون والتجار

والطهارة يقدمون الطعام والاحتياطات وضروب التسلية للمسافرين ،
ومن وقت لآخر كان يوم يرتقي ظهر قارب قديم او يظهر من نافذة
عليا او حتى يتسلق شجرة ليعظ بمذهبه الثوري الحشود .

وبدا الحج نحو نهاية اذار ١٤٧٤ ومع حزيران قررت السلطات
الكهنوتية والمدنية على السواء ان دعوة يوم كانت ضررا خطيرا على
النظام الاجتماعي ، و يجب التعامل معها ، و في البداية حضر مجلس
مدينة نورمبرغ على سكان تلك المدينة الحج الى نيكلاسهوزن وبعد
ذلك اتخذت تدابير شديدة في ورزبرغ المدينة التي تضررت بشكل
مباشر اكثر فقد كانت تتشوس بالاعداد الكبيرة من الغرباء الذين
كانوا يتدفقون خلال المدينة، واغلق المجلس اكبر عدد ممكن من
البوابات وناشد الاهالي حمل اسلحتهم ودروعهم وبذل ما امكنهم
لايقاف الصخب والجدل العنيف ، وفي النهاية شرع الامير الاسقف
في كسر قوة المتنبىء ، وفي المجلس الذي دعاه تقرر اعتقال يوم

ونقلا عن خصومه من الكاثوليك حاول يوم الان تنظيم ثورة ويقال
انه في نهاية موعظة القاها في ٧ تموز اخبر الرجال الموجودين بين
المستمعين ان عليهم ان يحضروا يوم الاحد التالي وهم مسلحون
وبدون نساء او اطفال لانه بناء على اوامر العذراء لديه بعض
الاشياء الخطيرة التي سيقولها لهم وماهو مؤكدا انه في ليلة
السبت ١٢ نزلت كوكبة من الفرسان ارسلها الاسقف في
نيكلاسهوزن واعتقلت يوم وحملته الى ورزبرغ وفي الظلام كان
الحجاج عاجزين عن حماية المتنبىء ولكن في اليوم التالي اخذ فلاح
الدورالنبؤي معلنا ان الثالث المقدسي ظهر له واعطاه رسالة
للحجاج المجتمعين ، وهي ان يسيروا باقدام الى قلعة ورزبرغ حيث
سجن يوم ومع اقترابهم منها ستتفتت الاسوار مثلما تفتت اسوار
اريجا ، وستنفتح البوابات من لقاء نفسها وسيخرج الشباب المقدس
منتصرا من اسره وقد اقنعت هذه الرسالة الحجاج على الفور وسار
بضعة الوف من الرجال والنساء والاطفال (ص ٢٣١) وهم
يحملون شموعا ضخمة اخذت من كنيسة نيكلاسهوزن ولكن بلا

اسلحة تقريبا خلال الليل حتى بلغوا عند الفجر اسفل اسوار الحصن، وفعل الاسقف ومجلس المدينة ما في وسعهم لتجنب العنف ، وأرسلوا مبعوثا للتفاهم مع الحجاج ، ولكنه طرد بالأحجار ، وكان مبعوث آخر أكثر نجاحا : وكثير من الحجاج ممن كانوا من رعايا الاسقف تركوا وعادوا في سلام الى بيوتهم ، ووقف الباقون في ثبات مصرين على وجوب اطلاق سراح الشباب المقدس والا ، بمعونة العذراء المعجزة سيحررونه بالقوة ، واطلقت بضع طلقات مدفعية فوق رؤوسهم ، ولكن حقيقة ان احدا منهم لم يصب بأذى لم تفعل سوى أنها قوت اعتقادهم بأن العذراء كانت تحميهم ، وحاولوا ان يعصفوا بالمدينة وهم يهتفون باسم مخلصهم ، وهذه المرة كان الاطلاق جديا وتبعه هجوم من الفرسان ، وقتل نحو أربعين حاجا وهرب الباقون على الفور في فزع بلا حول .

وكان التأييد ليوم قويا لدرجة أنه حتى بعد الانتصار الساحق لم يشعر الاسقف والمجلس بالأمن ، وحذر أهالي ورزبرغ بتوقع هجوم ثان أكبر حجما ، ثم كان هناك أيضا تخوف أنه ضمن المدينة نفسها كان هناك كثيرون ينتظرون فقط فرصة لضم قواتهم الى جيش الحجاج ، وبناء على ذلك طلب الاسقف من اللوردات المجاورين ان يكونوا على أهبة الاستعداد لنجدته عند الحاجة ، ولكن قبل حدوث أي اضطرابات جديدة حوكم يوم امام محكمة اكليروسية ووجد مذنبا بالهرطقة والشعوذة ، وقطع رأسا اثنين من حواريينه الفلاحين - احدهما صاحب الرؤيا الذي حاول تنظيم انقاذه - وأحرق هو نفسه على الخازوق وهو ينشد تراتيل للعذراء وهو يهلك ، واثناء الاعدام أبقى النظارة بعيدين عن الخازوق ، وكان عامة الناس يتوقعون معجزة من السماء تنقذ الشباب المقدس ، وتبعثر اللهب بين مضطهديه ، وكان الاسقف والكهنوت يتوقعون بعض التدخل الشيطاني ، وبعد ذلك كما حدث بالنسبة لفرديريك الزائف في نويس Neuss قبل ذلك بقرنين بعثر الرماد في النهر ، لنلا يكتنزه اتباع المتنبيء كأثر مقدس

ولكن حتى في حينه كان بعض هؤلاء الناس قد قبضوا التراب من حول قاعدة الخازوق واكتنزوه .

وعمل كل شيء لتدمير آثار بوم واعماله : القرابين المتروكة في كنيسة نيكلاسهوزن ، والتي لابد أنها كانت هائلة ، صودرت واقتسمت بين رئاسة اسقفية مينز ، وأسقف ورزبرغ والكونت الذي كانت الكنيسة تقوم على اراضيه .

وفي كل المناطق المبتلاة من الأسقفيات الألمانية انضم افراد ومجالس (ص٢٣٢) المدن إلى منع أي حج آخر إلى المزار ، ومع ذلك استمر الحجاج في الوصول وبشكل خاص من اسقفية ورزبرغ ، وكانوا مائزلون يصلون بعد تهديدهم بالحرمان وأغلقت الكنيسة ووضعت تحت التحريم ، وفي النهاية في بداية ١٤٧٧ هدمت الكنيسة بناء على امر من رئيس اساقفة مينز ، ولكن لسنوات عديدة كان للبقعة زوار سريون خاصة في الليل .

ولاشك ان شباب نيكلاسهوزن المقدس قد استغل من قبل رجال كانوا أكثر منه حذقا ، ومن المعروف ان بعض اللوردات المحليين حاولوا استثمار الاشارة الشعبية لاضعاف حكم سيدهم الأعلى ، اسقف ورزبرغ ، الذي كانوا في نزاع معه منذ بضع سنوات ، وهؤلاء كانوا هم الرجال الذين ترأسوا المسيرة الليلية الى ورزبرغ ، وقام واحد منهم مؤخرا بطريق التكفير بتسليم أكثر اراضيه الى رجال الكاتدرائية ، ولكن ما هو أهم من هذه المؤامرات السياسة كانت هناك شخصيتان كمنتا في الخلفية الظليلية للقصة ، واللذان ربما لولاهما ماكان الحج الحاشد كله ابدا قد حدث.

ومرة اخرى يتذكر المرء ثورة الرعاة في ١٣٢٠ ، وفي تلك المناسبة ايضا رأى الصبي الراعي رؤيا للعذراء ، وتلقى رسالة منها ، ولكن فقط عندما اولاه راهب مرتد وكاهن غير مرسوم

تأييدهما ونظما له الدعاية اللازمة قذفت حركة جماهيرية الى الوجود ، وكان تحت قيادة هذين الرجلين ان أصبحت الحركة ثورية ، وكان يوم أيضا صبيبا راعيا بسيطا ، وقد علمنا انه من شبابه الأول كان يعتبر نصف نكي ، حتى أنه عندما بدأ يعظ لم يكن قادر على تكوين جملة متماسكة وأنه حتى يوم مماته كان مازال يجهل « صلاة الرب » ، وكونه مع ذلك قادرا على إيقاع مناطق واسعة في المانيا في هياج كان مرجعه الى الدعم الذي تلقاه ، وكان كاهن اسقفية نيكلاسهورن سريعا في ادراك ان معجزات قليلة يمكن ان تجتنب قرابين كثيرة إلى مزاره حتى اليوم ، وطبقا لذلك - كما أقر نفسه بعد - اخترع معجزات وعزاها الى الشباب المقدس ، ولكن الدور الكبير شغله ناسك كان لبعض الوقت يعيش في كهف قريب ، وكان قد أحرز سمعة كبيرة بقدسيته .

ويبدو ان هذا الناسك قد مارس هيمنته كلية على يوم والهمه وخوفه ، وحتى رؤيا العذراء كما قيل من قبل بعضهم كانت حيلة اخترعها هذا لخداع الراعي الشاب ، وقيل أيضا انه عندما خاطب يوم الحشود من نافذة كان الناسك واقفا خلفه يحثه ، كما صور هو يفعل في المشهد الخشبي المأخوذ من حنولية سكيلد (ص ٢٣٢) ، (لوحة رقم ٧) وحتى لو كانت القصة خيالية من المحتمل انها تدل بدرجة كافية على حقيقة العلاقة التي كانت بين الرجلين ، وهي بالتأكيد تزيد في أهمية الأسماء التي اطلقتها السلطات الاكليروسية على الناسك الذي هرب عندما اعتقل الشاب المقدس ، ولكن قبض عليه بعد ذلك بوقت قصير وقد أطلقوا عليه اسم بيغرد من أهل بوهيميا وهوسيتي ، ومع ان الدليل لا يمكن القول بأنه حاسم ومقنع ، يبدو مؤكدا بشكل معقول ان الناسك هو الذي حول الحج الديني الى حركة ثورية ، ولا بد انه قد رأى في وادي توير الهاديء المركز المقبل لمملكة الفية فيها يمكن ان يستعاد نظام المساواة البدائية ، وربما كان المؤرخون المعاصرون متعجلين جدا في رفض انه عندما قبض على يوم وجد عاريا تماما في حانة ، يعظ بأشياء عجيبة ، على اعتبار انها افتراء واضح بقصد تشويه

(ص ٢٢٤) المسرحون ، والمتسولون وماشاكل ذلك من المعروف انهم شغلوا دورا كبيرا في الحركة : وان ذلك بلا شك كان مما اعطاها خاصتها الغربية ، لانه كانت هناك ثورات فلاحية اخرى كثيرة قائمة في جنوب المانيا في تلك السنوات ، وكانت كلها ترمي لجرد اصلاحات محدودة ، والباندشو فقط هم الذين كانوا يهدفون الى الالفية ، ومثل انتفاضة نيكلاسهوزن كانت ثورة الباندشوالتي حدثت في اسقفية اسبيير Speyer في ١٥٠٢ قد اثرت بالمعنى العام بسبب اخفاق اخر محاولة لاستعادة البنية المتحللة للامبراطورية ، وبشكل مباشر اكثر بسبب الضرائب الزائدة التي فرضها امير اسقف مفلس ، ولكن هدفها لم يكن شيئا اقل من ثورة اجتماعية من النوع المتطرف الشامل فان كل سلطة يجب اسقاطها وابطال كل الضرائب والفروض ، وتوزيع كل ممتلكات الاكليروس بين الناس ، وكل الغابات والمياه والمراعي يجب ان تصبح ملكية مشتركة واظهر علم الحركة المسيح مصلوبا مع فلاح يصلي في احد الجانبين وقبقاب فلاح في الجانب الآخر وفوقه شعار « لاشيء سوى عدالة الرب! » وكان المخطط هو الاستيلاء على مدينة بروخسسال Bruchs al ، التي كانت تضم قصر الأمير الأسقف ، ومن هناك تهباً للحركة ان تمتد مثل النار المستعرة عبر عرض المانيا وطولها لتجلب الحرية للفلاحين وسكان المدن الذين يؤيدونها ، ولكن الموت لغيرهم ومع ان هذه المؤامرة تعرضت للخيانة وسحقت الحركة فقد نجا جوس فريتز لينظم ثورات مماثلة في ١٥١٣ و ١٥١٧ ، حيث مرة اخرى ايضا يجد المرء المزيج المؤلف من التخيلات من جانب واحد اباداة كل الأغنياء والاقوياء واقامة نظام مساواة.ومن جانب آخر « التخلص من الكفرة والمجرمين » ومن قيادة الامبراطور ، وحتى استعادة الضريح المقدس ، وفي الواقع اصبحت صورة الباندشو تملك دلالة كبيرة حتى انه كان يعتقد على المستوى الشعبي ان الاستيلاء الاصلي على القدس قد تم بوساطة الفلاحين الذين حاربوا تحت هذا الشعار .

وفي هذه الاثناء وفي جزء مختلف من المانيا - ثورنجيا الدائمة

الخصوبة بالأساطير الالفية والحركات - كان توماس مونتزر
Thomas Muntzer يركب متن المهنة العاصفة
التي كان لها ان تنتهي بتحويله ايضا الى متنبىء لالفية المساواة
والرجل الذي دامت شهرته الى اليوم الحالي .

توماس مونتزر

ولد توماس مونتزر في اسستولبرغ في ثورنجا في
١٤٨٨ او ١٤٨٩ ، ولم يولد - كما روى كثيرا - للفقر بل لليسر
المعتدل ، ولم يشنق والده من (ص ٢٣٥) قبل طاغية اقطاعي بل
توفي في فراشه بفعل الشيخوخة ، وعندما بدا للعيان للمرة الاولى في
اوائل الثلاثينيات من عمره ظهر مونتزر لأكضحية ولاكعدو للظلم
الاجتماعي بل بالأحرى « كباحث ابدي » وكعالم
استثنائي ، ومفكر متعمق ، وبعد تخريجه من الجامعة وترسيمه
كاهنا عاش حياة قلقة هائمة ، يتخير دائما الأماكن التي يأمل أنها
توسع دراساته ، ومع تضلعه العميق في الكتب المقدسة ، تعلم
اليونانية والعبرية ، وقرأ اللاهوت الكندي والفلسفة النصرانية
اللاهوتية والفلسفة ، وانغمس ايضا في الكتابات الصوفية
الالمانية ، ومع ذلك لم يكن أبدا عالما صرفا ، وكانت قراءته النهممة
تجري في محاولة يائسة لحل مشكلة شخصية ، لان مونتزر في ذلك
الوقت كان روحا مضطربة مليئة بالشكوك حول حقيقة المسيحية
وحتى حول وجود الرب ، ولكنه كان يناضل بعناد بحثا عن اليقين
وفي الحقيقة غالبا ما كانت تنتهي مثل تلك الحالة القلقة بتحول الى
الهداية.

وكان مارتن لوثر الذي كان اسن من مونتزر بخمس سنوات او
سته قد بدأ لتوه في الظهور كأكبر خصم عرفته كنيسة روما على
الاطلاق ، وايضا - ولو عرضا وبشكل عابر فقط - كزعيم
حقيقي فعال للامة الالمانية ، وفي ١٥١٧ أعلن رسالته الشهيرة
ضد بيع صكوك الغفران على بسباب كنيسة

ورزبرغ ، وفي ١٥١٩ تشكك في مناظرة علنية بسيادة البابا ، وفي ١٥٢٠ نشر - وحرّم من أجل الذشر - البحوث الثلاث التي استهلت الاصلاح الالمانى ، ومع انه كان لابد من مضي سنوات كثيرة قبل ان تظهر الكناؤس الانجيلية المنظمة على أسس أرضيته، وجد الآن حزب لوثرى معروف ، وانضم اليه كثير ممن الأكليروس ، حتى بينما كانت الأغلبية تتعلق بثبات « بالديانة القديمة » وعندما انفصل مونترز في البداية عن الأصولية الكاثوليكية كان تابعا للوثر ، وكل الأعمال التي جعلته شهيرا تمت وسط الزلزال الدينى الكبير الذي شقق اولا ، وبعد طول عناء دمر البناء الكنسى العملاق للعصور الوسطى ، ومع ذلك تخلى هو نفسه عن لوثر بعدما وجده بوقت قصير ، ومنذ ذلك الحين كان دوما المعارض الأشد للوثر ، وقد فعل ذلك وهو يعد مذهبه الخاص ليقوم بالاعلان عنه بعد ذلك .

وماكان مونترز بحاجة اليه اذا كان له ان يصبح رجلا جديدا ، واثقا من نفسه ، ومن هدفه في الحياة لم يكن في الواقع ليجده في مذهب لوثر حول التسويغ بالايمان وحده ، بل ان يجده بالأحرى في الألفية المناضلة المتعطشة للدماء التي تكشفت له عندما تولى منصب كاهن في ١٥٢٠ في مدينة زويكو Zwickao ، وأصبح على صلة بزساج يدعى نيكلاس

ستورش Niklas Storch ، وتقع زويكو على مقربة من الحدود البوهيمية ، وكان ستورش نفسه في بوهيميا ، وكان المذاهب الطابورية القديمة بشكل اساسى هي التي تم احياؤها في تعاليم ستورش ، وأعلن انه الآن (ص ٢٣٦) كما في أيام الرسل كان الرب على اتصال مباشر مع النخبة ، وسبب ذلك ان الأيام الأخيرة أصبحت في متناول اليد ، واولا يجب ان يغزو الترك العالم ، ثم لابد ان يحكمه المسيح الدجال ، ولكن بعدد - وسيكون ذلك قريبا - ستهدم النخبة وتبيد الكفار ، حتى يحل المجيء الثانى وتبدأ الألفية ، وماكان يروق لمونترز كثيرا هو حرب الابد التي كان على الصالحين ان يشنوها ضد الفاسدين

وبتخليه عن لوثر اصبح الآن يفكر ويتكلم فقط عن سفر الرؤيا ، وعن أحداث في العهد القديم مثل ذبح ايجنا لكهنة بعل وذبح ياهو لأبناء اخاب وياعيل واغتيل سيسرا النائمة ، ولاحظ المعاصرون وتفجعوا على التغيير الذي حدث له ، والشهوة الى الدماء التي كانت تعبر عن نفسها أحيانا في هياج عنيف .

وبقوة السلاح يجب ان تمهد النخبة الطريق للألفية ، ولكن من الذين كانوا النخبة ؟ كانوا في نظر مونتزر اولئك الذين تلقوا الروح القدس او كما اعتاد ان يدعوهم (المسيح الحي) وفي كتاباته كما في كتابات الأحرار الروحيين يوجد تمييز واضح بين المسيح التاريخي ، والمسيح « الحسي » أو « الداخلي » أو « الروحي » والذي يتخيل انه ولد في روح الأفراد وهذا الأخير هو الذي يملك قدرة الغفران ، ومع ذلك فمن ناحية واحدة يحتفظ المسيح التاريخي بأهمية عظيمة ، :

باستسلامه للصلب اشارة الى طريق الخلاص ، لأن كل من نجاه ، عليه في الواقع ان يعاني بشكل مؤلم جدا ، ويجب ان يتطهر حقا من كل ارادة ذاتية ويتحرر من كل ما يربطه بالعالم ومن الكائنات المخلوقة ، وبداية يجب ان يخضع نفسه طوعا ليكون زاهدا ، وعندما يصبح صالحا وجديرا باستقبالهم يفرض الرب عليه معاناة اشد لا يمكن وصفها .

وهذا الابتلاء الأخير هو الذي سماه مونتزر « الصليب » ، وقد يتضمن المرض والفقر والاضطهاد ، وكلها يجب ان تحتل في صبر ، ولكنه فوق كل شيء قد يشمل كروبا عقلية شديدة والسأم من الدنيا ومن النفس ، وفقدان الأمل ، واليأس ، والرعب . فقط عند بلوغ هذه النقطة ، وعندما تجرد الروح وتصبح عارية تماما ، يمكن ان يتم الاتصال المباشر بالرب ، وكان هذا بالطبع مذهبا تقليديا مثل ذلك الذي اعتنقه العديد من متصوفة الكاثوليك في العصور الوسطى ، ولكن عندما يأتي مونتزر للكلام عن الحصيلة يتبع تقليدا آخر اقل اصولية ، إذ أنه نقل عنه : « ما ان يدخل المسيح الحي » إلى الروح

حتى يكون هذا الى الابد ، والانسان الذي كسب مثل هذه المنة يصبح وعاء للروح القدس ، وتحدث مونتزر حتى عن « تحوله الى رب » ، ولكونه كان وهو ببصيرة تامة من المشيئة الالهية ولعيشته في توافق تام معها كان مثل هذا الرجل بشكل محقق مؤهل لان يلغى المهمة الاخروية المقررة من السماء ، وهذا بالضبط ما ادعاه (ص . ٢٣٧) مونتزر لنفسه ، ولم يكن للاشياء ان هذا المتنبى قد ولد ضمن بضعة اميال من نوردهورن ، مركز تلك الحركة السرية ، حيث اختلط مذهب الروح الحرة بمذهب اللطامين ، ولربما امكن القاء ، السوط بعيدا ، ولكن الخيال المستبطن كان ما يزال هو نفسه .

وما ان مكنه ستورس من ان يجد نفسه غير مونتزر طريقته في الحياة ، وتخلي عن القراءة والسعي في طلب العلم ، لانما بادانة الانسانيين الذين كثروا بين اتباع لوتر ، وناشدا بلا توقف عقيدته الاخروية بين الفقراء ، ومنذ وسط القرن السالف افتتحت مناجم للفضة في زيوكو وحولت المدينة الى مركز صناعي هام ، ثلاثة اضعاف حجم درسدن ، وتدفق العمال من كل انحاء جنوب ووسط ألمانيا الى المناجم ، وكانت النتيجة ان اصبح هناك فائض فرص في القوى العاملة ، علاوة على الاستثمار غير المنضبط للفضة الذي نجم عنه تضخم سبب اجراء تخفيض في العمال الصناعيين ، وشمل ذلك حتى الذين استقروا منذ زمن طويل في صناعة النسيج ، وادى الى ما يقرب من الفقر المدقع .

وبعد وصوله الى زيوكو ببضعة اشهر اصبح مونتزر واعظا في الكنيسة نفسها التي اقيم فيها مذبح خاص للنساجين ، واستعمل المنبر ليلقي بشجب ضار ليس فقط للفرنسيسكان المحليين ، الذين كانوا بشكل عام مفتقرين الى الشعبية بل للواعظ ايضا . وكان صديقا للوتر - الذي كان يتمتع بتأييد الاهالي الموسرين ، ولم يمض وقت طويل حتى اصبحت المدينة كلها مذقسمة الى معسكرين متخاصمين واصبحت العداوة بينهما حادة لدرجة ان الاضطرابات العنيفة بدت وشيكة.

وفي نيسان ١٥٢١ ، تدخل مجلس المدينة وصرّف القادم الجديد المثير للاضطراب ، وإذ ذاك قام عدد كبير من الناس بقيادة ستورث بثورة ، وأخذت الثورة وجرت اعتقالات كثيرة ، وشملت بدلالة كافية أكثر من خمسين نساجا .

وبالنسبة لمنتزرق فقد لجأ إلى بوهيميا ، على ما يظهر بأمل أنه حتى في هذا التاريخ المتأخر قد يجد بعض مجموعات الطابوريين هناك ، وفي براغ أخذ يعظ بمساعدة مترجم ، ونشر أيضا بالألمانية والتشيكية واللاتينية بيانا يعلن تأسيس كنيسة جديدة في بوهيميا ، ستضم النخبة فقط ، وستكون بناء عليه ملهمة من الرب بشكل مباشر ، وحدد دوره الآن بتعابير من الحكايات والأمثال الأخروية نفسها حول القمح والبيقية ، التي كانت قد أثرت خلال ثورة الفلاحين الانكليز : « لقد حان وقت الحصاد ، فقد استأجرتني الرب نفسه من أجل حصاده ، ولقد شحذت منجلي ، لأن أفكارني قد ثبتت بقوة على الحقيقة ، وشففتاي ويدي ، وجلدي وشعري ، وروحي وجسمي وحياتي تلعن الكفرة » .

وبالطبع كانت دعوة منتزرق للبوهميين مخفقة ، وطرد من براغ وفي السنيتين (ص ٢٢٨) التاليتين هام من مكان إلى مكان في وسط المانيا في فقر شديد ، ولكن كانت تدعّمه الآن ثقة لانتزرق في مهمته التنبؤية ، ولم يعد يستعمل درجاته الأكاديمية وإنما وسم نفسه « برسول المسيح » واتخذت مصاعبه في عيذه قيمة مسائحية : « لتكن معاناتي نموذجا لكم ، ولتنفخ كل البيقية نفسها بقدر ما تحب فما زال أمامها أن تذهب تحت الدرس مع الحنطة الصافية ، إن الرب الحي يشحذ منجله في ، حتى يمكنني فيما بعد أن أقطع الخشخاش الأحمر والقنبيط الأزرق » .

وبلغ تشرده نهايته عندما دعي في ١٥٢٣ ليقوم برعاية روحية في مدينة الستد الصغيرة الثورنجية ، وتزوج هناك ، وأوجد الطقوس الأولى باللغة الألمانية ، وترجم التراتيل اللاتينية إلى العامية ووطد

سمعته كواعظ ، التي امتدت في كل أنحاء وسط المانيا ، وكان الفلاحون يأتون بانتظام من الريف المجاور ، وفوق الجميع بضع مئات من العاملين في المناجم ، من مناجم مانسفيلد للنحاس ليستمعوا إليه ، وقد زوده هؤلاء إلى جانب حرفيي الستدت باتباع أدهم في تنظيم ثوري ، هو « عصابة النخبة » ، وكانت العصابة تضم بشكل رئيس أناسا من غير المتعلمين ، وكان هذا جواب مونتزر للجامعة ، التي كانت دائما مركزا لنفوذ لوثر .

وكان التنور الروحي الآن هو الذي سيحل محل علم الكتابة ، وكان على الستدت أن تحل محل ويتنبرغ وتصبح مركزا لاصلاح جديد كان مفروضا أن يكون شاملا ونهائيا ، ويؤدي إلى الألفية .

وقد مضى وقت طويل كان مونتزر فيه متورطا في صراعات مع السلطات المدنية ، حتى أن أمير ساكسوني - الأمير المنتخب لرئاسة الامبراطورية الرومانية المقدسة ، فرديريك الحكيم وأخيه الدوق جون - كانا قد شرعا بمراقبة أعماله بمزيج من الفضول والحذر ، وفي تموز ١٥٢٤ جاء الدوق جون ، الذي هجر هو نفسه العقيدة الكاثوليكية التقليدية ، وأصبح تابعا للوثر ، إلى الستدت ، وكي يكشف نوع الرجل الذي كان عليه مونتزر ، طلب منه أن يعظه . وفعل مونتزر وقد أخذ نصه من رأس النبع في التقاليد الرؤوية ، في سفر دانيال ، وتعطي الموعظة التي سرعان ما طبعها ، أوضح المفاهيم للمكنة لمعتقداته الأخروية حيث قال إن آخر الامبراطوريات - الدنيوية تقترب من نهايتها ، والدنيا الآن لاشيء ، سوى امبراطورية الشيطان ، حيث هؤلاء الأفاعي والكهنة وهؤلاء الثعابين والحكام المدنيون واللوردات ، يلوثون بعضهم بعضا في كومة شوشة ، لقد حان الوقت بالفعل ليختار أمراء ساكسون ، إما أن يكونوا عبيدا للرب أو للشيطان ، فإذا كان الخيار الأول فإن واجبهم واضح :

« اطردوا أعداء المسيح من بين النخبة ، لأنكم وسائل هذه الغاية (ص ٢٣٩) ، أيها الأخوة الأحبة الأعزاء لاتخذوا ذريعة

صُحِّلَةٌ ، إن الرب قد يفعل ذلك دون أن تضربوا بالسيف وعندها إن سيفكم قد يصدأ في غمده إن المسيح هو سيديكم ، فلا تدعوهم يعيشون بعد الآن ، أولئك الذين يفعلون الشرور ويحولوننا عن الرب ، لأن من لارب له من الناس لاحق له في الحياة إذا كان يعوق التقى الورع ، وأصر الواعظ على أن الكهنة ، والرهبان والحكام الملحدون الكفرة يجب أن يهلكوا : « إن السيف لازم لآبادتهم ، وهكذا يجب أن يفعل بأمانة وكما ينبغي ، ويجب أن يفعله أبائنا الأعداء ، الأمراء ، الذين يعترفون معنا بالمسيح ، ولكن إذا لم يفعلوه ، سيؤخذ السيف منهم وإذا قاوموا ، فليذبحوا دون رحمة في زمن الحصاد يجب أن ينتزع المرء الأعشاب من كرم الرب ولكن الملائكة الذين يشهدون مناجلهم لهذا العمل ليسوا سوى عبيد الرب الجادين لأن الكفرة لاحق لهم في الحياة ، إلا من تختارهم النخبة لتسمح لهم بذلك »

ومع ذلك فإن مونتزر أقر أن الأمراء لا يمكنهم أن يتولوا هذه المهام بفعالية ما لم يبلغوا بأهداف الرب ، وهذا ما لا يمكنهم إحرازه بأنفسهم ، لأنهم ما يزالون بعيدين جدا عن الرب ، وعليه هكذا استخلص ، يجب أن يكون في بلاطهم كاهن يعد نفسه بذكران الذات وكبح الشهوات لتفسير أحلامهم ورؤاهم ، تماما كما فعل دانيال في بلاط نبوخذ نصر والتلميحات الانجيلية الضمنية التي صاحبت هذه التوصية تظهر بوضوح كاف أنه قد رأى في نفسه النبي الملهم ، الذي كان له أن يحل محل لوثر لصالح الأمراء ، كما حل دانيال محل الكتاب غير المتنورين .

وبهذه الطريقة ظن أنه يحرز نفوذا على حكام الأرض حتى يكون قادرا على توجيههم في إجراء التحضيرات الضرورية للألفية .

وقد نوقشت كثيرا كيفية تصوير مونتزر للألفية ، ويمكن في الواقع تقريرها من الحكم على كتاباته ، لقد أظهر بالتأكيد اهتماما أقل بكثير بطبيعة مجتمع المستقبل من اهتمامه بالآبادة الجماعية التي

يفترض أن تتقدمه ، كما لا يبدو أيضا أنه أبدى اهتماما كبيرا بتدسين الحصمة المادية للفقراء الذين كان يعيش بينهم ، وبعد يومين من القاء موعظته للأمرء نجده يكتب لاتباعه في سانغرهوزن بأنهم يجب أن يطيعوا سيدهم في كل الأمور الدنيوية ، وإذا لم يكن السيد راضيا عن الخدمة والايجازات التي يحصل عليها في الوقت الراهن ، يجب أن يكونوا مستعدين لجعله يحصل على سلعهم الدنيوية ، فقط إذا تدخل في الأمور المتعلقة بالراحة الروحية – وبشكل خاص بمنعهم من الذهاب إلى الستدت للاستماع إلى مونتزر – يجب أن يصرخوا بصوت عال ليسمعهم كل العالم . وحتى عندما تكلم مونتزر عن (ص ٢٤٠) العصبية من المنتخبين ظل موقفه هو نفسه ، فقد حاول بالعبارات التالية حث وكيل الأمير المنتخب في الستدت على الانضمام للعصبية :

« إذا كان للمخادعين والمحتالين أيضا أن ينضموا بفرض إساءة استعمال العصبية فإن على المرء أن يحيلهم إلى طغاتهم وإلا ، طبقا لطبيعة الحالة أن يحاسبهم بنفسه ، وبشكل خاص فيما يتعلق بتقديم الخدمات الموصوفة ، يجب أن يؤكد بوضوح في العصبية على أن الأعضاء يجب أن لا يعتقدوا أنهم بذلك معفون من تقديم أي شيء لطغاتهم لنلا يعتقد بعض الناس الأشرار أننا تجمعنا من أجل تعزيز الغايات المادية »

ومع ذلك فإن هذا لا يعني – كما كان يوحي أحيانا – بالضرورة أن مونتزر لا يمكن أن يكون قد تصور الفيته بلا مساواة ، بل حتى كشيوعية ويمكن بالدرجة نفسها أن يعني أنه اعتبر النظام القائم غير قابل للإصلاح حتى تأخذ كارثة الأيام الأخيرة مجراها ، واعتبر في الوقت نفسه أمرا مسلما به أنه ما أن يحصل ذلك ، فإن دولة الطبيعة البدائية ستستعاد بصورة آلية ، ومثل هذه التخيلات ، التي لم تفقد فتنتها منذ أيام الطابوريين ، معروف بأنها كانت مألوفة في الدوائر التي كان مونتزر يتحرك فيها ، و طبقا لمصدر يمكن الاعتماد عليه نوعا ما ، كان معلم مونتزر الأول ، وهو النساج

نيكلاس ستورش يعتقد أفكار حول هذه الأمور ، بالكاد يمكن تمييزها عن أفكار أخوة الروح الحرة ، تمسكت بأن الرب يخلق كل الناس متشابهين عراة وهكذا يرسلهم إلى الدنيا ، حتى يكونوا جميعا من المرتبة نفسها ، ويقدمون كل الأشياء بالتساوي فيما بينهم . وأيضا عرف مونتزر الفيلسوف الانساني أو ليريتش هغولد وكتب هغولد بحثا تنبأ فيه بأن الجنس البشري سيعود « إلى المسيح إلى الطبيعة ، إلى الفردوس » ، الذي عرفه بأنه وضع بلا حرب ولا عوز أو توقف ، فيه كل انسان يقدم كل الأشياء كما يفعل مع اخوته . و علاوة على ذلك و على أسس أن حياة الفلاح كانت هي الأقرب من تلك التي حددها الرب لأدم و حواء ، انتهى هغولد بأن حول نفسه الى فلاح ، و هكذا فعل الفيلسوف الانساني كارلستدت Karlstadt ، الذي كان صديقا صميما و حتى حواريا لمونتزر ، و على مستوى أقل تعقيدا ، لاحظ عضو بسيط في عصبة النخبة بأنه فهم ما عناه برنامجها هو «أنهم يجب أن يكونوا أخوة ، و يجب واحداهم الآخر كالأخوة» .

اما بالنسبة لمونتزر نفسه ، فانه عندما كان يكتب عن شريعة الرب ، فانه بالتأكيد بدا و هو يسوي بينه وبين القانون الأصلي الطبيعي المطلق ، الذي يفترض أنه لم يعرف التمييز بالثروة أو المنزلة . و قد قوى هذا الانطباع تاريخ توما مونتزر و هو باعتراف الجميع عمل هائل ، عمل كتب بينما كانت قصة مونتزر منتعشة جدا في ذاكرة الناس و هو يظهر بشكل عام مستوى مرتفعامن الدقة الحقيقية ، و حسب هذه الرواية كان مونتزر ، على الأقل في الشهور (ص ٢٤١) الأخيرة من حياته ، قد بشر أنه يجب أن لا يكون هناك ملوك أو سادة و أيضا ، بسبب قوة سوء الفهم للمادة الرابعة من أن كل الأشياء يجب أن تكون ملكيتها مشتركة ، و بأخذ هذه الحقائق ، معا إنها توحى بالتأكيد بأن الاعتراف الذي قام به المتنبىء قبل موته مباشرة يحتمل أنه كان دقيقا بدرجة كافية ، حتى ولو كان قد انتزع تحت التعذيب ، لأن ما اعترف به كان أن المبدأ الأساسي لعصبته هو أن كل الأشياء مشتركة بين كل الناس ، و أن

هدفها كان جملة من الأوضاع التي يكون الجميع فيها سواسية ، و يحصل كل فرد على حاجته ، و أنها كانت مستعدة لاعداد اي امير او لورد يقف في طريق مخططاتها ، و بعد كل شيء ما من شيء في هذا البرنامج لم يقر او يؤكد أيضا بلا ضغط او اكراه بالمرة في المنهاج الذي تخيله ثائر الراين الاعلى لآخوة الصليب الأصفر .

و عندما القى مونترز موعظته امام الدوق جون كان واضحا انه يأمل في امكانية كسب امراء ساكسوني الى جانب القضية ، و عندما طرد بعد يومين من ذلك اتباع له من قبل ساداتهم ، بشكل خاص من قبل كونت مانسفيلد و جاؤوا كلاجئين الى الستدت ناشد الامراء الانتقام لهم ، و لكن الامراء لم يبدوا حركة ، و غير هذا موقفه ، و في الاسبوع الأخير من تموز القى موعظة أعلن فيها انه قد بات قريبا الوقت الذي يسقط فيه كل الطغاة ، و تبدأ فيه المملكة المسيحية وهذا في ذاته كان يكفي بلا شك ليحذر الامراء ، و لكن على اي حال كان لوثر كتب الآن رسالته الى امراء ساكسوني ليبين مدى الخطورة التي أصبح عليها هياح مونترز ، و نتيجة لذلك استدعى مونترز الى ويمر Weimar ليقدم إيضاحا امام الدوق جون . ومع انه حتى حينه كان الأمر مجرد لفت نظر الى ضرورة التوقف عن اصدار أي تصريحات مثيرة أخرى ، حتى يتم دراسة الأمر من قبل الامير المنتخب ، كان الأمر كافيا لوضعه على طريق الثورة .

وفي الذشرة التي أخرجها الآن بعنوان « التعرية الواضحة للعقيدة الزائفة للعالم الملحد » جعل مونترز الأمر واضحا ، إن الامراء غير صالحين لاداء دور على الاطلاق في تحقيق الالفية لانهم امضوا حياتهم في اكل بهيمي و شراب ، و من شبابهم وما بعده نشأوا على العفوية ، و في حياتهم كلها لم يصادفهم ابدا يوم سيء ، وهم لم يرغبوا ولم ينووا تقبل مثل هذا اليوم ، و في الواقع ان الامراء واللوردات وكل الاغنياء باصرارهم على الاحتفاظ بالنظام الاجتماعي القائم لا يمنعون انفسهم فقط بل الآخرين أيضا من الوصول الى العقيدة الصحيحة : « وينبغي خلع الكفار الاقوياء

نوي الارادة الذاتية وطرحهم أرضا وانتزاعهم من كراسيهم لأنهم يعوقون الايمان المسيحي الاصيل المقدس في أنفسهم وفي العالم كله (ص ٢٤٢) عندما يحاول الظهور بكل صدقه وقوته الأصلية « وبتحريضه بوساطة الكتاب الفاسدين - من أمثال لوثر - « يفعل العظيم كل ما يمكنه ليحول بين الناس وبين ادراك الحقيقة » .

وبارتباطهم معا « كبيض الضفدع » وباهتمامهم المشترك بالربح المادي يرهقون الفقراء بالربا والضرائب حتى أنهم لا يجدون الوقت لدراسة واتباع شريعة الرب ، ومع ذلك ، جادل مونترز أن هذا كله ليس سببا لليأس ، بل على العكس ، إن الافراط الكبير في الطغيان الذي يضطهد العالم هو علاقة أكيدة على أن التحقق العظيم - بات في متناول اليد ، وبالضبط لأن الله يبعث بنوره الى العالم إن بعض (السادة) قد شرعوا الآن فقط بصورة حقيقية في اعاقمة ومضايقة ، وجز وحلق شعوبهم ، لتهديد كل النصرانية وبلا خجل وبقسوة متناهية لتعذيب وقتل قومهم والغرباء أيضا .

وقد بلغ مونترز النقطة التي وصل اليها المتنبؤن السالفون خلال ثورة « الفلاحين الانكليز » ، وثورة الهوسية ، وبالنسبة له أيضا كان الفقراء الآن هم الذين يحتمل أن يكونوا النخبة ، المكلفة بمهمة تدشين الفية المساواة. وبتحررهم من اغراءات البخل والترف ، كان لدى الفقراء على الأقل فرصة عدم المبالاة بموجودات هذا العالم مما يؤهلهم لتسلم الرسالة الرؤوية ، وعليه إن الفقراء هم - بينما يستأصل الأغنياء والأقوياء مثل الأعشاب في الحصاد العظيم الأخير- الذين سيخرجون بمثابة الكنيسة الوحيدة الصحيحة ، « ثم يجب على كل من هو عظيم أن يستسلم لكل من هو صغيره أه إذا عرف الفلاحون الفقراء المسحوقون أن ذلك عونا كبيرا لهم » ، ومع ذلك - أصر مونترز - حتى الآن ليس حتى الفقراء كانوا صالحين للدخول في البهاء المعين لهم ، « فهم أيضا يجب أن يبتعدوا أولا عن الرغبات الدنيوية ، وتمضية الوقت في التوافه كما كانوا يفعلون ، حتى يمكنهم بالصلوات والتهدد ، أن يتعرفوا الى حالتهم

اليانسة وحاجتهم في الوقت نفسه الى قائد جديد مرسل من الرب ، واذا كان للكنيسة المقدسة ان تتجرد من خلال الحقيقة المرة ، فإن احد عبيد الرب يجب ان يتمثل في روح اليجا ويحرك الأمور ، وفي الحقيقة ان العديد منهم يجب ان يثار ، حتى أنهم بأكبر حماس ممكن وبجدية حماسية يجب ان يمشطوا النصرانية لتطهيرها من كل الحكام الكفرة « وبالضبط كما قدم مونتزر سالفاً خدماته للأمرء كدانيال جديد ، كهذا اقترح نفسه الآن لمنصب القائد الالهي لشعبه .

وتبع « التعرية الواضحة » بفاصل زمني غير كبير كتيب اخر اكثر قسوة ، وجهه خصيصاً ضد لوثر وبالتالي عنوانه « دعوة الدفاع الاكثر اسهاباً ، والجواب على الجسد غير الروحاني الذي يعيش عيشة رحبة في وتنبوغ »

وكان لسبب جيد ان لوثر ومونتزر كان عليهما في ذلك الوقت ان يعتبر كل منهما الآخر عدواً مميّتا وتماماً مثله مثل مونتزر صاغ لوثر جميع أعماله في اطار ايمانه بأن الايام الأخيرة (ص ٢٤٣) في متناول اليد ، ولكن في نظره كان العدو الوحيد هو البابوية ، التي رأى فيها المسيح الدجال ، النبي المزيف ، وبذشر الانجيل الحقيقي ليتم التغلب على البابوية .

وعند انجاز هذه المهمة سيعود المسيح ليصدر حكم اللعنة الابدية على البابا واتباعه وتأسيس مملكة ، ولكنها لن تكون مملكة من هذا العالم ، وفي اطار مثل هذا الايمان بالأخريات كان من المحتتم ان الثورة المسلحة تبدو غير ذات موضوع ، لأن موت الجسد الذي يسببه الناس ، كان كلاً شيء بالمقارنة مع حكم اللعنة الذي فرضه الرب ، وكان محتماً أيضاً ان تبدو الثورة المسلحة ضامرة ، جزئياً لأنها ستحطم النظام الاجتماعي الذي سمح للكلمة ان تبتشر ، وما هو اكثر لأنها ستضعف الثقة بالاصلاح الذي كان بالنسبة للوثر بصورة لا تقبل المقارنة أهم شيء في العالم ، وكان بناء عليه من

المتوقع ان لوثر سيبدل ما في وسعه لأبطال تأثير مونتزر ، ومن جانب آخر ليس مدهشاً ان مونتزر من جانبه رأى في لوثر شخصية أخروية هي وحش سفر الرؤيا ، وعاهرة بابل ، وفي الواقع أن عنوان كتيبه كان تلميحاً الى فقرة من سفر الرؤيا هي رسالة يهوذا التي تحكي كيف أن الرب مع عشرة آلاف من قديسيه سينفذون الحكم بالكفار « المستهزئين في الزمان الأخير » - كما تمت تسميتهم هناك - الذين يبحثون عن مصالحتهم بالتودد للرجال العظام من البشر والذين ليس لديهم الروح » .

وبهجومه على لوثر في « دعوة الدفاع الأكثر اسهاباً » ، صاغ مونتزر بصورة بالغة الاحكام مذهبه للثورة الاجتماعية ، وفي حين ان لوثر أوقف رسالته على الأمير المنتخب والدوق جون أوقف مونتزر جوابه على المسيح ملك الملوك ودوق كل المؤمنين ، وجعل من الواضح أنه يعني بالمسيح روح المسيح التي خبرها هو نفسه وأتباعه ، وأعطى أسبابه : «إن الأمراء - أولئك الكفرة الأوغاد كما يدعوهم الآن - دعموا كل ادعاء لتمجيد الطاعة والهيمنة ، التي من الآن فصاعدا ستكون للنخبة وحدها ، وما يزال صحيحاً أن ارادة الرب وعمله يجب أن ينفذوا بكليتهما بالتزام الشريعة » ، ولكن هذه ليست مهمة الكفار وعندما يأخذ الكفار على عاتقهم مهمة قمع الذنوب فإنهم يستخدمون الشريعة كوسيلة لآبادة النخبة ، وبشكل أكثر تخصيصاً أكد مونتزر أنه في « العظيم » أصبحت شريعة الرب ببساطة جهازاً لحماية الثروة ، بمعنى الثروة التي استولوا عليها ، وفي هجوم مرير على لوثر صاح : « إن البائس المغرور صامت بالنسبة لأصل كل السرقة (ص ٢٤٤) انظر أصول بذرة الربا والسرقة والسلب ، هم ، لورداتنا ، وأمراؤنا ، إنهم يأخذون كل المخلوقات على أنها ملك لهم : السمك في الماء ، والطيور في الهواء والنباتات على الأرض ، عليها جميعاً أن تكون لهم ، وأشار الى الفقرة في اشعيا التي تقول : « ويل لهم الذين يضمون بيتاً لبیت ، وحقلاً لحقل ، حتى لا يكون مكان ... وهؤلاء اللصوص يستخدمون الشريعة ليمنعوا الآخرين من السرقة : « إنهم يذشرون

وصايا الرب بين الفقراء ، ويقولون ، إن الله يوصي بأن لا تسرقوا ، ، إنهم يضطهدون كل الناس وهم يجزون ويحلقون الحراثين الفقراء ، وكل شيء حي ، ومع ذلك « أن (الحراث) إذا ارتكب أدنى اساءة يجب أن يشنق » وجريمة لوثر الكبرى هي أنه يسوغ هذا المظالم ، وأعلن مونترز من جانب آخر حق وواجب النخبة ، الذين يوجدون بين عامة الناس ، في استعمال السيف لآبادة الأشرار ، الذين يضمون كل « العظماء » ووجه خطابه للوثر مناديا أنت أيها الثعلب الماكر لقد أحزنت قلوب الصالحين ، الذين لم يحزنهم الرب ، وبذلك قويت سلطة الأشرار الأوغاد ، كي يستمروا في طرقهم القديمة ، وعليه إن الأشياء ستسير معك كما تسير مع الثعلب عندما يمسك به ، وسيصبح الناس أحرارا ، والرب وحده يعتزم أن يكون السيد عليهم .

ومن التناقض بدرجة كافية ، أن الأميرين اللذين كانا بشكل رئيسي في فكر مونترز - الأمير المنتخب فريدريك والدوق جون - كانا وحدهما بين الأمراء الألمان في كونهم متسامحين للغاية ، ولكونهما مشوشين بدرجة كبيرة في وسط الهيجان الكبير الذي استهله لوثر والذي بقيت أراضيهما مركزا له ، فقد ملنا بالريبة حول حقوقهما ومنزلتهما ، واستمع الدوق جون دون احتجاج الى موعظة مونترز الاستفزازية ، وعرف أن الأمير المنتخب قد لاحظ أنه إذا كان الرب يريد هكذا فإن الحكومة يجب أن تنتقل الى يدي الرجل العادي ، وفي التعامل مع متنبىء الستدث الثائر أبدى كلا الأخوين شككا متساويا ، وكانت كايماة تحد واستخفاف ، أكثر منها لقلق جدي على سلامته ، أن مونترز بعد اسبوع من الاستماع الى افساته في ويمر نقض عهده ، وتسلق ليلا أسوار مدينة الستدث وشق طريقه الى المدينة الامبراطورية الحرة مولهوزن .

وكانت المدينة التورنجية الكبيرة نسبييا من قبل في حالة من الاضطراب المنقطع لها يزيد عن سنة ، وكان راهب سالف يدعى

هينريش بفيفر يتزعم أفقر الأهالي في نضالهم لانتزاع الهيمنة السياسية من جومة القلة التي كانت حتى الآن تحتكرها ، وكان نصف سكان المدينة - وهي نسبة كبيرة على حد ما هو معروف بالنسبة لأي مدينة المانية أخرى في ذلك الوقت - يتألف من الفقراء جدا ، الذين كانوا دائما في أوقات الأزمات يظهرون استعدادهم للتجارب الاجتماعية المتطرفة (ص ٢٤٥) .

وهنا وجد مونتزر أتباعا قليلين ولكنهم متحمسين ، وبفعل الاستحواذ المستمر لفكرة الدمار الوشييك للأشهر عليه ، كان له صليب أحمر ، وسيف مجرد يحمل أمامه عندما كان يقوم بالدورية في شوارع المدينة على رأس فرقة مسلحة.

ومع ذلك فعندما تفجرت الثورة العنزية قمعت بسرعة ، وطرد مونتزر مرة أخرى ، فأستأنف هيمنانه ، و في نورمبرغ قد بدأ أمر نشر رسالتيه الثوريتين ، ولكنهما صودرتا على الفور من قبل مجلس المدينة ، وكان على مونتزر أن يغادر هذه المدينة أيضا وبعد بضعة اسابيع من الهيمن أخذته بعيدا إلى حدود سويسرا دعي للعودة الى موهلوزن حيث نجح بفيفر في إعادة توطيد نفسه ، والذي كان مرة أخرى في حالة من الاختمار الثوري وفي أذار ١٥٢٥ تم اسقاط المجلس القائم للمدينة وانتخب مجلس جديد من قبل الأهالي ليحل مكانه ، ولكن لا يبدو أن مونتزر قد شغل أي دور كبير في تلك الأحداث ، وما مكنه من أن يظهر نفسه بمظهر الثوري النشط كان تفجر حرب الفلاحين أكثر منه ثورة موهلوزن ، وكانت أسباب حرب الفلاحين الألمان وستبقى بلاشك موضوعا للجدل ، ولكن هناك بعض التعليقات الهامة التي يمكن ايرادها ببعض الثقة ، انه على الأقل من المؤكد ان خلفية هذه الثورة تشبهه خلفية ثورة الفلاحين الانكليز اكثر من تلك المتعلقة بثورة الجاكويري Jacquerie فقد كان يسر أحوال الفلاحين الألمان أكبر مما كان مطلقا ولاسيما الفلاحين الذين أخذوا المبادرة في كل

مكان في التمرد المسلح ، وبدلا من ان يدفعوا بالبؤس الصارخ واليأس كانوا ينتسبون الى طبقة ناهضة واثقة من نفسها .

لقد كانوا اناسا اوضاعهم في تحسن اجتماعي واقتصادي ، وكانوا لهذا السبب بالذات لا يصبرون على العقبات التي تقف في طريق مزيد من التقدم، وعليه فليس من المدهش انه في جهودهم لازالة تلك العقبات اظهر الفلاحون انهم ليسوا بالمرءة آخرويين في افكارهم ، بل على العكس ذوي افكار سياسية ، بمعنى انهم يفكرون بتعابير الأوضاع الحقيقية والامكانيات القابلة للتحقق واقصى ماكان يسعى اليه المجتمع الفلاحي على الاطلاق تحت قيادة ارسقراطية الفلاحية كان الحكم المحلي الذاتي ، واول مراحل الحركة من اذار ١٥٢٥ حتى مستهل ايار ، كانت تتألف ببساطة من سلسلة من الصراعات المحلية امكن فيها انتزاع عدد كبير من المجتمعات حقا من سادتها المباشرين ، من الأكليروس او المدنيين مع المزايا التي تعطىها حكما ذاتيا اكبر ، ولم يتحقق ذلك بسفك الدماء بل بتشديد المساومة العذيفة القاسية التي كان الفلاحون يجرونها منذ اجيال .

وتحت هذه الثورة كانت تكمن على أي حال صراعات اعمق (ص٢٤٦) ومع الانهيار المتزايد للسلطة الملكية تحللت الدولة الألمانية الى سلطات اقطاعية متناوبة مشوشة بل ومتحاربة ، ولكن بحلول ١٥٢٥ كانت هذه الحالة القريبة من الفوضوية تقترب من نهايتها لأن امراء الولايات الكبار كانوا منهمكين في ايجاد اماراتهم ذات الحكم المطلق ، وراى الفلاحون طريقتهم التقليدية للحياة تتمزق ، وحقوقهم الموروثة مهددة بتطور دول من هذا النمط الجديد .

واستاءوا من الضرائب الاضافية ، واستبدال القانون الروماني بالعرف ، وتدخل الادارات المركزية في الشؤون المحلية ، وقاتلوا ذلك كله وقاوموه ، وأدرك الأمراء من جانبهم

بوضوح كاف أن الفلاحين كانوا يقفون في طريق مخططاتهم لبناء الدولة ، وأدركوا أيضا أن العصيان المسلح الفلاحي يقدم لهم فرصة فاخرة لتأكيد سلطتهم وتوطيدها ، وكان الأمراء - أو بالأحرى جماعات خاصة من الأمراء - قد عملوا على أن تنتهي الثورة بشكل مفاجئ ، في سلسلة من المعارك أو المذابح ، هلك فيها ربما ١٠٠٠ من الفلاحين و كانت الأسر الأميرية هي التي ربحت على السواء من اختزال الفلاحين ، والنبالات الأدنى والمؤسسات الاكليروسية الى حالة من الاتكال والضعف كان لها أن تدوم بلا جدل قرونا.

والدور الذي شغله توماس مونتزر في حرب الفلاحين ككل يمكن بسهولة التعرف عليه وتقديره مع أنه كثيرا ما بولغ فيه ، وكانت الجهات الرئيسية المهتدة بالصراع هي النواحي التي بلغ فيها تطور الدول الجديدة مدى أبعد ، ووقعت هذه النواحي كلها في جنوب وغرب المانيا وهي التي رأت من قبل كثيرا من الثورات الفلاحية في السنوات لما قبل ١٥٢٥ ، وهناك يبدو أن مونتزر لم يكن له أي نفوذ على الاطلاق ، وفي ثورنجا على أي حال كانت الحالة غريبة ومميزة ، حيث لم يكن هناك ثورات فلاحية سالفة ، وكانت هناك علامات قليلة عن ثورة وشيكة حتى في ١٥٢٥ ، وجاء العصيان المسلح في الحقيقة متأخرا جدا علاوة على أنه أخذ صورة فوضوية بشكل غريب ، في حين أنه في الجنوب والغرب كان الفلاحون يوجهون أنفسهم بنمط نظامي منهجي ، وفي ثورنجا شكلوا فرقا صغيرة غير منظمة كانت تطوف بالريف تنهب وتحرق الأديرة وتجمعات الرهبان ، وربما كانت هذه التفجرات قد لقيت تشجيعا ، إن لم تكن قد نجمت عن الهيجان الذي كان مونتزر يثيره. وكانت النواة الصلبة لاتباع مونتزر ما تزال في عصبة النخبة وانضمت بعض حلقاته الدينية السالفة في السستت اليه في موهلوزن ، وعاونته بلا شك في بناء تنظيم جديد.

وفوق كل شيء استمر في الاعتماد على الشغيلة في مناجم النحاس

في مانسفيلد ، الذين انضموا الى العصبة بالملئات ، ومثل هؤلاء الناس - كانوا يجندون من خارج البلاد ، وكثير ماكانوا من المهاجرين ، الذين كثيرا ماكانوا معرضين للبطالة ، وكل انواع عدم الأمن - كانوا بالقدر نفسه من سوء السمعة والميل للاثارة الثورية التي كان عليها النيساجون ، وبالتالي كانوا موضع خشية السلطات ، ولانه كان قادرا على قيادة مثل هؤلاء (ص ٢٤٧) الاتباع كان طبيعيا ان يحظى مونتزر بسمعة كبيرة كقائد ثوري ، حتى لو لم ينافس نفوذ بفيفر مطلقا في موهلهورن نفسها ، وفي محيط العصيان الفلاحي المسلح كان هذا يبدو اكبر بكثير ، ومع انه - كما تظهر بوضوح مطالبهم المكتوبة - حتى فلاحي ثورنجيا لم يشاركوا مونتزر في تخيلاته الالفية ، فانهم كانوا يتطلعون اليه بالتاكيد على انه العالم الشهير ، والرجل الورع الذي القى بلا تحفظ بثقله معهم ، وكان هناك كثير من عدم الاتفاق حول المدى الذي يمكن بلوغه في تسمية مونتزر بحق قائدا للفلاحين الثورنجهيين في « حربهم » ، ولكن شيئا واحدا يبدو مؤكداً ، هو انه لم يكن لديهم قائد آخر .

وفي نيسان ١٥٢٥ رفع مونتزر في كنيسة في موهلهورن علما ابيض يحمل قوس قزح رمزا الى ميثاق الرب ، وأعلن انه سيسير قريبا تحت هذا الشعار على رأس الفين من « الغرباء » - بدون شك يبدو انهم من الأعضاء الحقيقيين او المتوهمين في عصبته - وفي نهاية الشهر اشترك هو وبفيفر في الواقع في حملة غزو وسلب ونهب دمر خلالها عددا من الأديرة وتجمعات الرهبان ، لكن حتى ذلك الحين لم يكن هذا بأي وسيلة النضال الرؤوي الذي كان يحلم به ، ومن رسالة بعث بها الى اتباعه في الستت يدرك المرء الفكرة التي نسبت مرة الى جون بول ، وباستثناء واحد : ان المرء يسمعا الآن مباشرة بدلا من أن تكون مجرد رواية وقد جاء فيها :

« اني اخبركم بأنه اذا لم تعانوا من اجل الرب ، فانكم يجب ان تكونوا شهداء الشيطان ، لهذا انتبهوا ولا تكونوا متراخين اصحاب

الرؤى الضالين ، الكفرة الملحدون الأندال، ابدأوا وحاربوا معركة السادة فهذا أوانها تماما ، واجعلوا كل اخوتكم فيها حتى لايسخرون من الشهادة الالهية ، والا فانهم سيدمرون جميعا انه كل المانيا وفرنسا وايطاليا في حالة يقظة وحذرة فالسيد يريد ان يلهو ولهذا ان الأوغاد يجب ان يشاركوا، لقد قام الفلاحون في كلتغو Klettgau . وهيغو Hegau وفي الغابة السوداء ، وعددهم ٣٠٠٠ نسمة والحشد يتزايد كل الوقت ، وكل ماأخشاه ان يترك الحمقى الأتباع انفسهم يؤخذون ببعض الاتفاقات الخيانية ، ببساطة لأنهم لم يروا بعد ضرر ذلك .

اذا كان هناك فقط ثلاثة منكم يثقون في الرب ويلتمسون فقط اسمه وجلاله ، فلن تخشوا مائة الف .

والآن انهبوا اليهم واليهم واليهم ! لقد حان الوقت ان الاندال تأبطوا الهمة كالكلاب انه من الضروري جدا ضروري الى مدى أبعد من أن يقاس ان لاتبدوا اهتماما لنواح الكفرة ! إنهم سيرجونكم بطريقة متوددة وسينتحبون ويكون كالاطفال .

لاتتأثروا بالشفقة وأثيروا الناس في القرى والمدن وعلى الأخص عمال المناجم ، والأتباع الطيبين الآخرين ، الذين سيكونون جيدين في هذه المهمة يجب ان لاننام بعد الآن (ص ٢٤٨) خذوا هذه الرسالة الى عمال المناجم

اليهم اليهم والنار ماتزال حامية ! لاتدعوا سيديكم يبرد لاتجعلوه يضعف ! اطرقوا بالمطرقة اطرقوا على سندان نمرود القوا ببرجهم الى الأرض ! فماداموا احياء لن تنفضوا الخوف عن الرجال ان احدا لايسطيع ان يكلمك عن الرب طالما انهم يحكمونك اليهم ، اليهم بينما أنت في ضوء النهار ! الرب يسير أمامك ، فاتبعه اتبعه !

وتظهر هذه الرسالة بوضوح كاف في اي خيالات كان مونتزر يعيش ، لأن زمرود كان يفترض انه بنى برج بابل ، الذي كان بدوره يماثل بابل ، وكان على المستوى الشعبي يعتبر ليس فقط كأول منشيء للمدن بل كمؤهل للملكية الخاصة والتنمية الطبقيّة ، وفي الواقع كدمر لحالة المساواة الطبيعيّة الابتدائيّة ، وفي دعوته لنبذ زمرود وبرجه اضافة مونتزر سلسلة كاملة من الاشارات الى نبوءات رؤويّة هي الانجيل : نبوءة الملكة المسيحية في سفر حزقيال ٣٥ ، ونبوءة المسيح حول مجيئه الثاني كما جاء في انجيل متى : ٢٤ ، ونبوءة يوم الغضب في سفر الرؤيا : ٦ ، وبالطبع الى حلم دانيال Daniel وكل هذا يبين مدى اكتمال رسالة مونتزر في هذه المرحلة الأخيرة ، وان الافتراضات التي عمل على اساسها ، والتعبير التي فكر بها كانت ماتزال ملتزمة بالتقاليد الأخروية ، وفي الواقع ان من الأهمية بمكان انه كان في ذلك الوقت بالذات الرجل الذي اتخذه مثلا اعلى له ، كان هو نفسه يمارس دور المخلص الأخروي ، ولأنه طرد من زويكو Zwickau فان نيكلاس ستورش كون أتباعا جدا اختلط فيهم الرهبان المرتدون بالنساجين والحرفيين الآخرين ، ونظمها حول نواة من اثني عشر رسولا واثنين وسبعين حواريا ، وعندما تفجرت حرب الفلاحين كان يدعى انه قد تلقى وعدا من السماء ، حدد انه خلال اربع سنوات سيكون قادرا على طرد الحكام الكفرة الحاليين وحكم العالم كله ومنح اتباعه ممالك الأرض .

وفي الوقت نفسه بينما كان مونتزر وستورش يمهدان الطريق للالفيه كان لوثر من جانبه يؤلف منشوره الضاري بعنوان « ضد عصابات اللصوص والقتلة من الفلاحين » وكان فعل هذا العمل كبيرا في اثاره الأمراء في وسط المانيا ، الذين كانوا حتى اليوم قد ابدوا تصميميا اقل بكثير من أولئك الذين في الجنوب والغرب في معارضة الثورة ، وتوفي الأمير المنتخب العجوز فريديريك الذي اظهر اشد العزوف عن العمل ضد الفلاحين ، في ٤ ايار ، وخلفه اخوه جون ، وانضم الأمير المنتخب الجديد الى الأمراء الآخرين في

التماس مساعدة الكونت الألماني فيليب أوف هيس وهو شاب بالكاد في العشرين من عمره ، ولكنه رجل كان قد كسب بالفعل سمعه هائلة كقائد عسكري وفوق ذلك كان قد اخمد لتوّه ثورة في مقاطعاته ، وسار الكونت على الفور (ص ٢٤٩) الى ثورنجا وتوجه الى موهلوزن التي كان الأمراء فيها متفقين في رؤيتهم لمصدر العصيان المسلح الثورنجي ، اما بالنسبة للفلاحين فقد شكل نحو ٨.٠٠ منهم اخيرا انفسهم في جيش في فرانكنهوزن Frankenhäusen ، ووقعت هذه المدينة على مقربة من قيادة مونترز في موهلوزن ، وكذلك ايضا من قلعة عدوه القديم

Eornest of

ارنست مانسفيلد

Mansfeld ، حتى انه يبدو ان الاختيار كان بالهام من المتنبىء نفسه ، وبالتأكيد قد تحول الفلاحون الآن الى مونترز كمخلص ، يرجونه ان يأخذ مكانه بينهم ولم تكن دعوتهم عبثا ، في حين ان بفيفر ، الذي كان يعارض في التدخل بقي في موهلوزن وخرج مونترز على رأس نحو ٣٠٠ من مؤيديه الأكثر اخلاصا وتعصبا، وللعدد دلالة لأن ٣٠٠ كان حجم القوة التي اسقط بها جدعون المدينيين وفي كتاب « التعرية الواضحة » استحضر مونترز مثال جدعون، وفي اشد رسائله عنفا اضاف « بسيف جدعون » الى توقيعه ، وقام ايضا باعلان مهمته على انها اباداة الكفرة بسيف جدعون ، ووصل مونترز الى معسكر الفلاحين في ١١ ايار، وعلى الفور جعل تأثيره ملموسا ، وامر الفلاحين في القرى المجاورة بالانضمام الى الجيش ، وهدد بأنهم اذا توانوا في ذلك سيجعلهم ينضمون اليه بالقوة ، وارسل طلبا ملحا الى مدينة ارفورت Erfur للتعزيزات وارسل ايضا رسائل تهديد الى العدو ، وكتب لعدوه الخاص الكونت ارنست مانسفيلد ، « قل ايها البانس ، الكيس الرث للديدان ، من جعل منك اميرا على الناس الذين اشتراهم الرب بدمه الثمين ؟ وبقوة الرب القادرة انك متوجه للتدمير ، واذا لم تتواضعا بأنفسكم امام الأدين ، فانكم ستصمونها بالعار الأبدي في عيون كل النصرانية

وستصبحون ضحايا الشيطان » ولكن كل شيء كان بلا طائل : فلم تتمكن ايرفورت ان تستجيب ، ولم يكن العدو ليخاف بسهولة

وفي ادارته للعمليات اظهر فيليب هيس Philip Hesse اشد الأزدراء التام للمهارة العسكرية للفلاحين وسوغت النتيجة تماما المخاطر التي قبل بها ، ومع ١٥ أيار قامت قواته التي تقوت بقوى الأمراء الآخرين فاحتلت الآن موقعا قويا فوق تل يطل على جيش الفلاحين ، ومع ان جيش الأمراء كان نوعا ما أقل عددا كانت لديه مدفعية كثيرة ، حيث كان لدى الفلاحين القليل جدا منها ، وكان لدى الأمراء نحو ٢٠٠٠ من الفرسان بينما لم يكن لدى الفلاحين احد من الفرسان ، وكان لمعركة تدور تحت مثل هذه الظروف نتيجة ممكنة واحدة ، ولكن الأمراء مع ذلك عرضوا شروطا ، ووعدوا الفلاحين بمنحهم حياتهم شريطة ان يسلموا مونتزر واتباعه المقربين ومن المحتمل ان العرض قدم (ص ٢٥٠) بحسن نية لأنه في التعامل مع العصيان المسلح في اراضيه ، كان الكونت في الوقت الذي يطلب فيه التسليم ، كان يسعى أيضا لتفادي سفك الدماء بلا ضرورة ، وكان من المحتمل ان يقبل العرض لولا تدخل مونتزر نفسه.

وطبقا للرواية في تاريخ مونتزر - التي تبدو معقولة بدرجة كافية- القى المتنبىء خطابا عاطفيا ، أعلن فيه أن الرب قد تحدث اليه ، ووعده بالنصر حتى أنه سيمسك بقذائف مدافع العدو في اكمام عباءته ، وأنه في النهاية سيحول الرب السماء والأرض بدلا من أن يسمح للناس بالهلاك ، وقد ارتفع أثر هذا الخطاب بظهور قوس قزح ، الذي فسر ، باعتباره رمزا على علم مونتزر ، بالطبع كعلامة على التأثير الإلهي ، ويبدو أن اتباع مونتزر ، المقربين على الأقل ، كانوا واثقين بأن نوعا ما من المعجزة الكبيرة كان على وشك الحدوث ولكونهم كانوا منظمين اضافة الى أنهم متعصبين فانهم كانوا بلا شك قادرين على الهيمنة على حشود الفلاحين المرتبكة غير المنظمة.

وفي هذه الاثناء كان الامراء لعدم استلامهم جوابا مرضيا على عرضهم قد تزايد نفاد صبرهم ، واصدروا الامر باطلاق المدافع ، ولم يكن الفلاحون قد قاموا بأي استعدادات لاستعمال اي نوع من المدفعية لديهم ولا حتى للهرب ، وفي الواقع كانوا ما يزالون بنشدون « تعالي ايها الروح القدس » - كما كانوا يتوقعون المجيء الثاني في تلك اللحظة بالذات - عندما اطلقت القذائف الاولى والوحيدة ، وكان التأثير فوريا وفاجعا لقد مزق الفلاحون الصفوف وهربوا في فرع ، بينما كان فرسان العدو يلحقون بهم ويذبحونهم بالبنات . ومقابل فقدانه حفنة صغيرة من رجاله شنت جيش الامراء الفلاحين واستولى على فرانكهوزن ، وقتل نحو ٥٠٠٠ في هذه العملية ، وبعد بضعة ايام استسلمت موهلوزن دون قتال ، وعقابا لها على الدور الذي كان يعتقد انها شغلته اكرهت المدينة على دفع غرامات كبيرة وتعويضات وحرمت من مكانتها كمدينة حرة في الامبراطورية ، وبالنسبة لمنتز فان هرب من ميدان المعركة ولكن سرعان ما وجد مختبئا في قبو في فرانكهوزن ، وبعد تسليمه لارنست اوف مانسفيلد عنب وقدم اعترافا فيما يتعلق بعصيته من النخبة ، وبعد الاعتراف قطعت راسه في معسكر الامراء مع بفيفر في ٢٧ ايار ١٥٢٥ ، واما بالنسبة لستورث الذي يبدو انه ايضا قد شغل دورا ما في الثورة فقد مات كلاجيء في السنة نفسها .

ومع ذلك فان دور مونتزر التاريخي لم يكن قد انتهى بعد بأي حال ، وطبيعي بدرجة كافية انه في الحركة القائلة بتجديد العماد ، والتي انتشرت طولاوعرضا في السنوات التي اعقبت حرب الفلاحين ، كانت ذكراه ما تزال تستوجب (ص ٢٥١) التمجيد مع انه لم يطلق على نفسه ابدا انه من دعاة تجديد العماد ، وما هو اكثر غرابة هو الانبعاث والتأليه الذي حدث له خلال المائة سنة الماضية ومن انجلز الى المؤرخين الشيوعيين المعاصرين - الروس والالمان - ضخ الماركسيون مونتزر الى رمز عملاق ، وبطل غير عادي ، وفي تاريخ الحرب الطبقيه وهذه فكرة سانجة ، وواحدة من الافكار التي قاموها المؤرخون غير الماركسيين بسهولة

كافية ، بالأشارة الى الطبيعة الصوفية الأساسية لاهتمامات
مونتزر وعدم مبالاته العامة بالرخاء المادي للفقراء ، ومع ذلك فسانه
ربما يوحى بأن هذه النقطة ايضا يمكن المبالغة في تأكيدها ، لقد كان
مونتزر متنبئا استحوذت عليه التخيلات الأخروية التي حاول
ترجمتها الى حقائق باستغلاله لعدم الرضى الاجتماعى ، وربما بعد
كل شيء أنها كانت غريزة راسخة تلك التي قادت الماركسيين الى
ادعاء نسبته اليهم .